

امارة مجهولة

المكان ، الزمان ، السند ، الامارة

مطالع الامارة

مكان الإمارة : هو بلدة « بادس » ، وقد عثاني طول البحث عنها منذ أواخر سنة ١٩٥٥ أيام ظفرت بنص معاهدة بين البندقية وبادس موقع بإمضاء أميرها .

واقعت من بادس في رحلة كنت بها مع الملك محمد الخامس ملك المغرب السابق عليه رحمت الله ، وبلغنا « الحسيمة » في ريف المغرب الأقصى ، ولم أكن أدري أن بادس التي أبحث عنها كانت على مقربة من الحسيمة ، وعدت من تلك الرحلة ولم يتج لي أن أراها أو أرى موضعها .

وجاءني من أعملي بعد ذلك أن على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، بين « صيطة » و « مليلة » جزيرة صغيرة اتصلت مؤخراً بالبحر المغربي ، فأصبحت شبه جزيرة ، وأنها كانت تسمى « حجرة بادس » أو « حجرة بادس » أو « حصن بادس » لقرىها من بلدة بادس المغربية ، التي هي موضوع بحثي . وقرأت في كتاب « المغرب » (١) ، أن بادس مدينة تاريخية من المدن المؤسسة في القرن الأول لفتح الإسلامي لعبت دوراً خطيراً في تاريخ المغرب ،

(١) لصديق في المغرب ص ٦٥ .

وقد اندثرت الآن ولم يبق منها شيء غير الاسم ، قال : وموقعها على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، أمام الجزيرة المعروفة بنفس الاسم ، وفي الطريق بين سبتة ومليلة .

وفي تاريخ تطوان (١) : بادس ، جزيرة أو شبه جزيرة على البحر الأبيض المتوسط ، هي الآن في يد الأسبان .
وفي الدليل الأزرق المغرب (٢) ما ترجمته :

على الشاطئ الغربي بين مدينتي سبتة ومليلة الأسبانييتين أمام قرية القميرة ،
السمية بالاسبانية بيون دوقيلير دولا قرية Penion de velez de la gomera
تقع بلدة بادس وهي قرية صغيرة على نهر يدعى باسمها ، كان الرومان يسمونها
باريانتيئا Parientina وكان أينما شأن في القرون الوسطى ، في مواصلات
فاس ، الخارجية ، وأهل البناء بعد استقرار الأسبان في القميرة .
وتكرر ورود ذكرها في تاريخ المغرب القديم :

- ١ - أمر عبد المؤمن سنة ٥٥٧ هـ ، بإنشاء الأساطيل ، فكان منها بطنجة
وسبتة وبادس ومراسي الربط مائة قطعة (٣) .
- ٢ - وفي سنة ٦٠١ هـ بنى تامل الربط ، من قبل الناصر ، واسمه « بيش »
سور بادس وبلدية ومليلة ، حيطة من فجاء المدو (٤) .
- ٣ - وأمر السلطان يعقوب بناء السور على بادس مرفأ السفن ومحل العبور
من بلاد غمارة سنة ٦٧٤ هـ (٥) .

(١) الأستاذ محمد داود ١ : ٤٤٥ .

(٢) Guide Bleu Maroc الطبعة الثامنة ١٩٤٥ ص ٤٩٦ .

(٣) الاستقصا ، الطبعة الثانية ٢ : ١٢٨ .

(٤) المصدر عنه ٢ : ١٩٥ .

(٥) أيضاً ٣ : ٤٢ .

- ٤ - وفي سنة ٦٧٨ هـ ، قدم من بادس وسلا وآثي خمسة عشر أسطولاً انضمت إلى بقية الأسطول في مرفأ سينة (١) .
- ٥ - وفي سنة ٧٦٠ هـ ، ظهر السلطان أبو سالم بجبال غمارة وفر منصور ابن سليمان إلى بادس ، فقبض عليه ، وجيء به إلى السلطان أبي سالم فقتله (٢) .
- ٦ - وبادس (في القرن السادس للهجرة) مدينة متحضرة ، فيها أسواق وصناعات قلائل ، وغمارة ياجأون إليها في حوائجهم . وهي آخر بلاد غمارة (٣) .
- ٧ - وأخرجت علماء ، منهم عبد الحق بن اسماعيل البادي ، مصنف الفصد الشريف ، في صلحاء الريف ، رأيت مخطوطة منه في خزافة الرباط (المجموع ١٤١٩ د) فرغ من تأليفه سنة ٧١١ هـ . وانظر مجلة الجمع العلمي العربي ١٢ : ٦٠

الزمان

زمن البحث في الامارة المجهولة هو ، القرن العاشر للهجرة ، والخامس عشر الى أوائل السادس عشر للميلاد .

السند

وسند البحث : معاهدة عفتات يوم ١٩ رمضان سنة ٩١٣ هـ الموافق ٢١ يناير ١٥٠٨ بين الأمير منصور بن يوسف ، والقبطان لورزيو ميان البندقي ، في بلدة بادس .

(١) الاستقصا ، الطبعة الثانية ٣ : ٥٢ .

(٢) ابنسأ ٤ : ٧ .

(٣) الشريف الادريسي ، في نزهة المشتاق كما في الحلل السندية ١ : ٦٨

وكان قد اتفق لي الاطلاع على الأصل القريب لهذه المعاهدة ، بينما كنت أغلب أسايير ، الأركيبيو ، الأربع عشرة ، في الهندية ، وما فيها من رسائل ووثائق واردة عليها من بعض ملوك المغرب وسلاطين مصر ، والدولة العثمانية .

نص المعاهدة

اتخذ لله وحده ، هذه معاهدة وشروط عقدتها القبطان الكبير في قومه ، العزيز بين أبناء جنسه الحبيب لأصيل لور " برمانا " هدا الله ، بينه وبين الأمير العظيم الأسعد الأنحد أي علي منصور بن يوسف كان الله له ، وأصلح قوله وعمله ، وكانت المعاهدة بينهم في حين وصول القبطان إلى مرسى مدينة بادس أمناها الله .

الأول — أول المعاهدة والشروط أن الصالح متفق بين المسلمين من أهل بادس وعملها ، وبين المصارى من البنادقة وعملها ، من يوم تاربع هذه المعاهدة ، طول ما يبقوا يتشاوروا ويحبوا لبادس من الآن ليقدم إن شاء الله .

الثاني — العقد الثاني أن كل جفن يحجي من تحت علامة الشئورية من أرض البنادقة فإنه ينزل في مدينة بادس أمناها الله ، مؤمناً في نفسه وماله على هذه المعاهدة التي عقدتها القبطان مع الأمير أئده الله ، من غير زيادة ولا نقصان إن شاء الله .

الثالث — العقد الثالث ألا يأمر أحد من البنادقة أحداً من أهل بادس وعملها ، ولا يأمر أحد من أهل بادس أحداً من البنادقة وعملها ،

من بعد هذه المعاهدة . ومما ظهر أسير عند كلي الفريقين فانه
يحرر من الأسر في الساعة التي يرى فيها إن شاء الله .

الرابع — الرابع لا يؤخذ أحد بذنب أحد . مثل أن يكون لمسلم دين
على نصراني بتدقي مما مضى من سالف الأعوام ، ويريد المسلم أن
يحبس فيه أحداً من البنادقة ، فان ذلك لا يكون إن شاء الله .
الخامس — العقد الخامس إذا جاء تاجر نصراني بتدقي في جفن من أجفان
النصارى غير أجفان البنادقة فان مأمته ومثرمته يكون على
ما في هذه المعاهدة من غير زيادة ولا نقصان بعون الله .

السادس — العقد السادس إذا هال البحر على الطرائد في مرسى بادس ، أو
دمهم عدو أو تنكسر لهم سفينة واحتاجوا إلى النزول في البر
فإنهم مؤتمنين (كذا) في أنفسهم وفي أموالهم بعون الله .

العقد السابع إن تجار البنادقة ينزلوا بسلمهم في مدينة بادس
أمنها الله يبيعون ويشترون على أنهم إذا باعوا شيئاً لمسلم بآية دبتر
(دبتر) ذهباً فأنهم لا يفارقون المسلم المشتري حتى يحملونه ، لأن
المشتري يتغرم على مشتراه عشراً غير ربع وذلك سبعة ذهب
وتصاف من كل مائة ، فان فرط النصراني البائع في المشتري ،
فانه يتغرم بدلاً منه سبعة ونصفاً من كل مائة إن شاء الله .

السابع — العقد السابع إن جميع ما يشترونه من القمح والدقيق والخبر
وغير ذلك من القواكه والخضر فإنهم يرفعون ذلك للطرائد
بغير مغرم يلزمهم على ما ذكر بعون الله .

الثامن — العقد الثامن أن الوَرَقِي (؟) الذي في طريدة القبطان إذا بيع سلعة بما يبي ذهب التي تحب عليه فيها خمسة عشر ديناراً ذهباً فإنه يحرر ولا يتعم منها قليلاً ولا كثيراً إن شاء الله . وكذلك رئيس كل طريدة وهو رئيس في كل طريدة فإنه يحرر له من مفرمه الذي يبيع به سلعته سبعة دنانير ونصف ديناراً ، ولا يُزاد عليها ولا يُنقص بمون الله .

العقد التاسع ، إذا هرب إلى الطرائد أمير نصراني من بلاد وعملها فاتهم يُنزلونه لصاحبه ، وإن حملوه معهم ويُخرجوه في أرض النصراني ويطلقوه فاتهم إذا جاءوا لعام آخر يُحبس فيه واحد منهم إن شاء الله .

على جميع ما ذكر من المعاهدة والشروط توافق الأمير أبو علي منصور أعز الله أيامه مع القبطان الحسيب لوزي زيمان البندقي أكرمه الله ، وكتب جميع ما ذكر بينها محمد بن أحمد الرزيني وفقه الله يوم السبت التاسع عشر من شهر رمضان المعظم عام ثلاثة عشر وتسماية وفي اليوم الحادي والعشرين من شهر يَشِير العجيمي الذي من عام الف وخمماية وثمانية أعوام . هـ

الإمارة

ليس فيما وقفت عليه من تواريخ المغرب أي ذكر لامارة في بادس ،
تولاها أو قام بها أمير يدعى « منصور بن يوسف » ولعله كان مستقلاً غير
تابع لإحدى دولتي عصره : الوطاسية المرينية ، ودولة بني الأحمر ، وإلا
لما فاته أن يشير في بدء المعاهدة ، أو ختامها إلى الدولة التي هو من عملها .
- ويلاحظ في السطر الرابع من الصفحة الأولى من نص المعاهدة ، فراغ
كان قد تركه الكاتب لاسم الأمير منصور ، وملاه هو بخطه على طريقة
سلاطين المغرب في تحلية رسائلهم بتوقيعاتهم في أعلى الرسائل ، وانفرد هذا
بإدخال اسمه في صلب الفقرة الأولى من المعاهدة .

ثم ، هل هناك أكثر من التشابه في الأسماء ، عندما نجد في تاريخ
المغرب كبيراً من الوطاسيين اسمه ، يوسف بن منصور (بن زيان الوطاسي)
قد تولى خلع سلطانات فاس أبي عبد الله الحفيد سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م ؟
لم يذهب بنا الجدل إلى أن منصور بن يوسف صاحب معاهدة بادس ،
سنة ٩١٣ هـ / ١٥٠٨ م ، هو ابن ليوسف بن منصور بن زيان ؟ فتكون
الإمارة « وطاسية » بلحق ما يمكن أن يُعرف عنها بتاريخ الوطاسيين .
هذا خاطر يسبح عند محاولة التعرف إلى نسب منصور وأوليائه ، لا يدخل
في صميم موضوع « الإمارة » .

أما مادة التاريخ لبلدة بادس ، بعد زمن المعاهدة ، فتوفرة ، وأم
ما يتعلق بحضنها منها ، أن الإسبان احتلوا جزيرة بادس في ٢٣ يوليو ١٥٠٨ م

٢٣ صفر ٩١٤ هـ أي بعد زهاء سبعة أشهر من توقيع المساعدة ، وأورد صديقنا محمد بن تالوت التطواني^(١) نصوصاً مفيدة لأحداث وقعت في بادس وما حولها في بعض أعوام ١٥٢٢ - ١٥٦٤ م (٩٢٢ - ٩٧١ هـ) لم أجد فيها ما يسميني في كشف حقيقة «الإمارة المجهولة» التي يمكن أن يكون اسمها منذ الآن في تاريخ بادس «إمارة منصور بن يوسف» ، إلى أن يظهر عنها من نشوئها ومدتها ، وعلاقتها بمجاراتها ، مالا يزال فيها أحسب ، في عالم القليب .

خير الدين الزركلي

زويل بيروت :



(١) في مجلة تطوان : العدد ٥ الصفحة ١١٦ .